مفهوم الجمال من المنظور الإسلامي وبعض النظريات الغربية المعاصرة (دراسة مقارنة)

الملخص:

هدفت الدراسة تسليط الضوء على المنطلقات الفكرية للتربية الجمالية في التصور الإسلامي، والتعرف على المنطلقات الفكرية للتربية الجمالية في بعض النظريات الغربية المعاصرة، كما أوضحت مواضع الاتفاق والاختلاف حوْل صورة التربية الجمالية في كل من الفكرين الإسلامي و الغربي المعاصر، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التأصيلي التحليلي، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها بروز الأصالة والاستقلالية في التربية الجمالية في التصور الإسلامي، ، لقد ثبت لكل من الفلاسفة المسلمين والمعاصرين القيم الإنسانية العليا (الحق، والخير، والجمال) وجعلوها هدفاً أسمى، فالجمال الإسلامي ابتعد عن محاكاة الواقع، أما النظريات الغربية المعاصرة فقد اهتمت بالمحاكاة الكلاسيكية، وكذلك الحال بالنسبة للمادية والانطباعية في محاكاة الطبيعة، أكد كل من الفكرين الإسلامي والغربي أن كل جمال له قيمة، كما أظهر كلا الفكرين مجموعة دوافع للجمال عند الإنسان هي: الدافع الديني، والنفسي، والاجتماعي، والتاريخي، والعلمي، والتربوي لم يتم الالتفاف المنشود إلى غنى وتنوع المساهمات الجمالية في التراث الإسلامي المكتوب، كما لم يحصل الانفتاح المتوخى على ما أنتجه الغرب في ميدان تلكم الثقافة بصورة جادة وهادفة " الفن للفن" الذي تقوم عليه آراء ونظريات كثيرة من المدارس الغربية المعاصرة تتعارض مع التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، بينما الفن الإسلامي يقوم على الأصالة والوضوح في التعبير، وارتباط الموضوع التعبيري بالمجتمع.

كلمات مفتاحية: التربية الجمالية، التصور الإسلامي، الغربي المعاصر.

Abstract:

The study aimed to shed light on the intellectual premises Educational aesthetic perception in the Islamic , and to identify the intellectual premises for breeding some of the aesthetic in contemporary Western theories. As explained in positions of agreement and disagreement on the image of aesthetic education in each of the Thoughts Islamic and Western contemporary. The researcher used the descriptive approach analytical, The study concluded a series of results , including the emergence of originality and independence in aesthetic education in the Islamic perspective , has been shown for each of the Muslim philosophers and contemporary human values, the upper (right , goodness, and beauty) and made paramount goal , beauty Islamic Stay away from the simulation actually the theories of contemporary

Western has focused on simulated classics , as well as the case for the material and impressionism in biomimicry , confirmed all of Thought Islamic and Western that all the beauty of its value , as demonstrated both Thought group motives of beauty in humans are: religious motive , and psychological , and social , historical, and scientific and educational. Not circumvent the desired richness and diversity of the contributions aesthetic in written heritage of Islam , and did not get openness envisaged what was produced by the West in the field of telecom culture in a serious and meaningful " art for art " upon which the views of the many theories of Western schools of contemporary conflict with the Islamic concept of the universe and life while human and Islamic art based on originality , clarity of expression, and a link to the topic expressionist society.

المقدمة:

لم يكن الفلاسفة العرب بمعزل عن الحركات الأدبية والفنية والفلسفية السائدة في أي عصر من العصور؛ لهذا نجد أنّ هناك تواصل بين الحركات الفنية والفلسفية بغض النظر عن المنهج الفلسفي الذي تنتمي إليه تلك الحركات، والجمال أحد الموضوعات الفلسفية الشائكة من وجهة النظر الفلسفية التي تناولتها جميع المدارس بشيء من التفصيل، وقد كان لهما نصيب من اهتمام الفلاسفة العرب (المسلمين) على غرار غيرها من الموضوعات السائدة والحائزة على اهتمام الفلاسفة بغض النظر عن انتمائهم الفلسفي. (عاشور والزعبي، ٢٠٠٩).

ويزعم البعض أنّ للدين الإسلامي دور في الحد من انتشار بعض أنواع الفنون بسبب النظرة الدينية لتلك الأعمال من ناحية التحريم والإباحية، غير أنة لا يوجد من ينكر ما تركته الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى في مجالات متعددة. ومن الجدير بالذكر أنّ الحضارة العربية المتطورة أثرت تأثيراً كبيراً على عملية التكوين الروحي عند الشعوب الأوربية وتركت هذه الحضارة بالطبع أثراً على النظريات الناشئة في علم الجمال الغربي (أبو شعيرة، ٢٠٠٧).

لذا كان موقف الإسلام من الفن والجمال موقفا إيجابياً بل خاطب الإنسان كمخلوق ذواق للجمال؛ ففي حضارة المسلمين الفنية نجد تراثاً ضخماً من الأشكال والموضوعات الجمالية؛ فالمساجد ومآذنها وجدرانها وما فيها من زخارف وخط ونحت لوحات فنية تصور النموذج الجمالي الذي أطلقة الإسلام، كما تصور قدرة الفنان المسلم وحريته الفنية، والزخارف المعمارية والأواني والمصوغات والأزياء والخط والرسم كلها تعابير جمالية تعكس طبيعة الروح الحضارية لدى المسلمين وهذا النمط من الفن المعبر عن الجمال، له أصوله وقواعده الفكرية والفقهية، ففي القران الكريم والروايات الواردة

عن النبي صلى الله عليه وسلم نجد الحث على حبّ الجمال واقتناء الأشياء الجميلة، وتذوق معانيها (الخوالدة والترتوري، ٢٠٠٦).

وتحدث القرآن الكريم عن الزينة والجمال، واستنكر المواقف الرافضة للتمتع بما أبدعه الخالق في عالم الطبيعة وما وهبه لعباده، قال تعالى: {قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة} (الأعراف، ٣٢) وفي الحديث النبوي الشريف، نجد الدعوة إلى الجمال بأعلى صورة، حيث نجده في قول الرسول صلى الله علية وسلم "إن الله جميل يحب الجمال" (رواه مسلم، رقم ١٦٨٦)، ويتعالى موضوع الجمال في التصور الإسلامي، ويتسع فيشمل العقل والسلوك والمعنى الذي يحمله، اللفظ وليس الشكل الفني للأداء اللفظي فحسب، فصنفت الأفعال الإنسانية إلى حَسن وقبيح، وبالرغم من كون موضوع الجمال يتخذ صفة العمومية الظاهرية التي يتحدث بها كافة الناس بصرف النظر عن تخصصاتهم الأكاديمية والاجتماعية إذ يرتبط علم الجمال ارتباطاً مباشراً بالفلسفة بل يكاد يكون أكثر المفاهيم الفلسفية إشكالية، ولا يخلو أي مؤلف مرتبط بالفلسفة من التطرق للجمال سواء بصورة مباشرة أم غير مباشرة حيث عدّ علم الجمال من الموضوعات التي تناولتها الفلسفات المختلفة بل أنه ومع تطور التجربة الانسانية واتساعها زاد الاهتمام بدراسة علم الجمال.

والإسلام فقد جاء ليلفت الأذهان والقلوب والعقول جميعًا إلى الجمال الحقيقي، وليس معيار الجمال في الإسلام بهاء الصورة وحسن الطلعة والتناسق بين أعضاء الجسم، وليس منطلقه الرائحة الطيبة تنبعث من صاحبها، إنه الدين الذي لا يغفل الفطرة، بل يذكيها وينميها ويحض أهله ومتبعيه على أن يعملوا وفق الدلالات الدعوية المباشرة، ولهذا فليس غريبًا أن نقرأ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرجِّل شعره ويغسل ثوبه ويهذِّب شكل عمته إذا وضعها حتى يبدو مظهره العام على أفضل شكل وأحسن طلعة، وكذا كان سائر الصحابة رضوان الله عليهم سوى من زهد منهم في الدنيا على وجه الإطلاق من أمثال أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وكان عليه السلام يقول: " حبب إليّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة "، ومع كل هذا لم يكن يصل به وبرجالاته حب الجمال والتهيئة البهية إلى حد الإغراق في هذه الطيبات التي تنقلب عند الإكثار منها في غير فائدة إلى خبائث، بل حصَّلوا في ذلك التوازن الجميل فلا إفراط في مثل هذه المجملات ولا تفريط بتركها بحيث تبدو هيئة أحدهم حسنة غير منفّرة ورائحتهم طيبة غير شائنة.

(فالجمال – في الإسلام – من معالم الهداية والموعظة والتربية، لكن إنما يتعامل معه القلب السويّ لا المقلوب، وهذه الحقيقة ترجع بقضية الجمال إلى أن تكون قضية إيمانية محضة، لا يؤهل للإمامة فيها والقيادة وإنشاد شعرها والتغني بمضامينها

غير مؤمن عامر الفؤاد نقيّ الحنان، وأما الكافر والعاصي والجاهل والظالم فإنما يحومون في المحيط الأبعد، ولا يستطيعون مقاربة مركز الجمال، إذ المركز حكرٌ لمتأله شكور) (الراشد، ٢٠٠٢، ص٣١)

وتعد فلسفة الجمال قديمة قدم التفكير الفلسفي، كما أنّ هي قبل كل شيء مشكلة فلسفية رغم محاولة التوصل لحلها في العصور الحديثة بالطرق العلمية والمناهج التجريبية. فمن الحقائق السيكولوجية المعروفة إنّ المرء لا تتكامل شخصيته إلاّ إذا تمتع بالعقل السليم والتفكير الراجح من جهة، وبالوجدان المبلور حول قيم دينية وأخلاقية وجمالية من جهة أخرى، أما بالنسبة للقيم فإنّ الجمال يحتل في نطاقها مكانة ممتازة، فالإنسان يتأثر بما هو جميل، كما أنه يبدع الجمال ويؤثر به في الآخرين، ولولا ما يستشعره المرء من جمال في العالم المحيط به، و فيما يقوم بإبداعه من أشياء جميلة، لما استطاع أن يطيق الحياة، ولما كان لها أي مذاق يستسيغه ويستمتع به. فكل ما هو جميل يبعث على إشاعة السرور والارتياح في النفس، ويجعل المرء مقبلاً على التفاعل مع البيئة الطبيعية والاجتماعية من حوله. وهذا هو جوهر عملية التنشئة الاجتماعية السليمة، وهو الغاية القصوى من العملية التربوية بأسرها (مطر، ١٩٩٥).

كما تؤكد النظريات التربوية المعاصرة أنّ الطفل يولد مزوداً بغريزة حب الجمال وحب الاطلاع؛ فالإنسان بفطرته يحب كل جميل وينجذب إليه بنفس درجة انجذابه لكل ما هو غير مألوف لديه وعلى هذا الغرض من التربية الجمالية هو أن تربى في الطفل حب الجمال، ومن ثمّ تنشئته على تقدير الجمال والإعجاب به، وأخيراً تنشئته على المقدرة على إصدار الحكم الجمالي وتذوقه، وهذا يدفعنا إلى التأكيد على ضرورة التربية في عملية التنشئة الجمالية، ولا يتعارض هذا مع فطرية حب الجمال في الإنسان، لأن حب الجمال يبقى محتاجاً إلى الرعاية والتنشئة، كما أن التذوق الجمالي هو أقرب إلى الاكتساب منه إلى الفطرية، لأنّ الطفل يولد في بيئة يتفاعل معها بدءاً من البيئة المنزلية مروراً بكافة البيئات الطبيعية والاجتماعية الأخرى (الخوالدة والترتوري، ٢٠٠٦).

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تحظى التربية الجمالية باهتمام في الأوساط التربوية حيث أصبحت جزءاً مهماً من مناهج المؤسسات التعليمية نظراً لأهميتها في النمو المتكامل للشخصية بمختلف جوانبها: العقلية والنفسية والجسدية والانفعالية والاجتماعية، وتعد التربية الجمالية العامل الأكثر تأثيراً في صقل التذوق الجمالي الموجود أصلاً عند كل فرد والذي يملك القابلية التامة للنمو والتدريب والتهذيب، لذلك يمكن البداية مع الجمال أو العيش في كنفه وخلق ظروفه بالوسائل الجمالية الطبيعية والفنية يجب التخطيط لها وإدراجها في سلم أولويات تعاملنا مع بعضنا البعض، وموضوع الدراسة جذب اهتمام الباحث من

خلال تدريسه لمساقات في التربية الفنية وتخطيط المناهج حيث وجد أن هناك عامل مؤثر في التربية وهو عنصر الجمال، وحرصاً من الباحث تسليط الضوء على التربية الجمالية كونها لم تحظى بالدراسة المستفيضة المعمقة وخاصة فيما يتعلق بالتربية الجمالية من منظور التصور الإسلامي والفلسفات الغربية المعاصرة، فرأى ضرورة تسليط الضوء عليها لتكون نواة دراسات تربوية معمقة على مستوى رسائل الماجستير والدكتوراه، ومن هنا حددت مشكلة الدراسة بالأسئلة الآتية:

١. ما المنظور الإسلامي إلى الجمال؟

٢. ما هي صورة الجمال في النظريات الغربية المعاصرة؟

٣. ما هي أوجه الاتفاق والاختلاف بين نظرة كل من التصور الإسلامي والفكر الغربي المعاصر إلى الجمال، بحيث تتمثل فيها الأصالة والمعاصرة؟

أهداف الدراسة:

سعت هذه الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية:

١. التعرف على المنطلقات الفكرية للتربية الجمالية في التصور الإسلامي.

٢. التعرف على المنطلقات الفكرية للتربية الجمالية في بعض النظريات الغربية المعاصرة.

٣. التعرف على مواضع الاتفاق والاختلاف حْول صورة التربية الجمالية في كل من الفكريين الإسلامي و الغربي المعاصر.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في النقاط الآتية:

١. بيان التصور الإسلامي للتربية الجمالية.

٢. إبراز القواعد الفكرية التي تبنى عليها التربية الجمالية في الفكر الغربي المعاصر.

٣. تناول الدراسة لجانب محدد وهو التربية الجمالية في الفكر التربوي، بالإضافة إلى حاجة المهتمين في الجانب التربوي والثقافي إلى تعزيز القيم الجمالية في فلسفات التربية والتعليم، في المناهج الدراسية.

٤. التقليل من ندرة الدراسات والإنتاج المعرفي في هذا المجال، أو فيما يتعلق في الاختيارات والمقاييس الجمالية.

٥. استخلاص القواسم المشتركة المتعلقة بالتربية الجمالية في التكوين الإسلامي والغربي المعاصر بحيث يفيد منها القائمين على اتخاذ القرارات في العملية التعليمية في مجتمعنا المعاصر.

حدود الدراسة:

الاقتصار على أبعاد الجمال من المنظور الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية.

مصطلحات الدراسة:

رأى الباحث ضرورة تحديد المصطلحات الواردة في عنوان الدراسة على النحو الآتي:

١. **التربية الجمالية:** هي تكوين القدرة على التفكير الجمالي، وهي حصيلة طريق طويل مليء بالإحساس الجمالي، وطرق تذوقه وتنبيه الوعي وقوة الملاحظة، وقياسات التجارب، بالإضافة إلى تواجد المثالية الجمالية والحكم الجمالي والتقدير الفني والتذوق الفني.

٢. **التصور الإسلامي:** هو التميز الفكري الذي وجد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وضمن الكتابات التربوية، والتي جاءت عن طريق مؤلفات أو رسائل أو وصايا وإشارات متناثرة في مواضع شتى من الإبداعات والمؤلفات الإسلامية، أنشأها مجموعة من المفكرين من تخصصوا في الجانب التربوي، أو في غيره من جوانب الحياة العلمية.

٣. **الفلسفات الغربية المعاصرة:** هي مجموعة الأفكار التربوية التي أنتجها فكر علماء التربية والمعنيون بها في العصر الحاضر، وما أوصوا به فيما يتعلق بالتربية الجمالية، بما يتفق ويتواءم مع المستجدات التربوية المعاصرة.

منهج الدراسة:

استخدام الباحث في دراسته منهجين من مناهج البحث هما:

١. **منهج البحث الأصولي:** الذي يعرف على أنه القواعد العامة والمعايير والبحوث العلمية التي يتوصل بها المجتهد إلى استنباط الأحكام من الأدلة التفصيلية. وفيه يقوم الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسته النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة (صالح، ١٩٩٩).

٢. **المنهج الوصفي التحليلي:** وهو الذي يعتمد على جميع البيانات وتحليلها ومعاينتها واستخراج الاستنتاجات منها ذات الدلالة والمغزى بالنسبة للمشكلة المطروحة (غباري، وأبو شعيرة، ٢٠٠٩).

دراسات سابقة:

فيما يتعلق بالدراسات والبحوث التي تناولت التربية الجمالية من منظور التصور الإسلامي والغربي، فقد وجد الباحث أنها تعاني من ندرة خصوصاً ما يتعلق بالبحث عن منهجية تربوية جمالية تدعم القيم الجمالية، وتوجهها الوجهة الصحيحة، وتنميته لدى الإنسان المسلم المعاصر بطريقة سليمة. ويعرض الباحث أهم الدراسات ذات الصلة المباشرة بموضوع الدراسة التي تمَ العثور عليها في الأدب التربوي، ومنها:

دراسة سيد (١٩٩٨) والتي هدفت الكشف عن القيم الجمالية الأخلاقية في أدب الجاحظ. وقد اعتمد الأسلوب التحليلي للتوصل لما يتضمنه أدب الجاحظ من قيم جمالية وأخلاقية، وكان من أهم ما توصلت إليه الدراسة أن الجاحظ لم يكن أديباً عادياً بقدر ما كان فيلسوفاً جمالياً طبيعياً مبدعاً.

وأشار القاضي (١٩٩٨) بدراسته التي هدفت إلى إبراز التربية الجمالية في الإسلام من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والأقوال المأثورة، استخدم فيها الباحث المنهج الوصفي، وقد خلصت إلى أن كل أساليب التربية الإسلامية تسير نحو تحقيق رسالة الله في الأرض ونشر العدالة والأمن بين الناس سواء أكان داخلياً أم خارجياً، والجمال يحرك الهمم إلى التدبر في ملكوت الله، كما توصل إلى أثر الجمال في المسلم داخلياً الذي يجعل سلوكه قائماً على أساس من الرقة والإحساس والتذوق الجمالي.

وفي دراسة قام بها الريسوني وحمادة والقدميري (١٩٩٩) هدفت إلى البحث في التربية الجمالية وأثرها في حفظ البيئة، استعرض الباحثون المظاهر الجمالية من خلال القرآن والسنة النبوية، وتوصلوا إلى أن أهم المظاهر الجمالية التي لفتت إليها الدراسة هي جمال الخلقة البشرية، ومظاهر الجمال في الكون والمخلوقات.

وقام العزب (٢٠٠٠) بدراسة هدفت التحدث عن الجمال كمصطلح إسلامي، وعن الجمال والعلاقات الإنسانية، والنظر إلى الجمال كمصطلح إسلامي، وعن الجمال كقيمة شوهها الخابطون، استخدم الباحث فيها المنهج التاريخي مستعيناً بالوصف والتحليل، وقد خلص إلى أنّ الجمال؛ كالحب، مصطلح ظلمه الاستعمال العرفي، فأحجم حتى الفاهمون عن تداوله أو التعامل الفكري معه، وأن الجمال ينبغي أن يظل مناط الإعجاز في الخلق الإلهي، لا أن يصير مناط التعلق الجسدي، أو مناط الخلق في حقائق الأشياء، وأنّ الجمال كما يتبدى في الطبيعة الصامتة، والطبيعة الصائتة، يتبدى كذلك في الكائن البشري الذي يعطي جماله لساناً، فإذا هو يتحدث إلى الكون بآلاء واهب الجمال، وإذا هو يحدد مسيرة العقل في اتجاهه إلى الأعلى بدءاً من نقطة جمالية معينة، وانتهاءً إلى عالم الجمال والجلال والكمال.

أما دراسة رمال (٢٠٠١) فقد هدفت إلى الكشف عن القيم البيئية الإسلامية، وعن دور التربية الإسلامية في تنميتها لدى الإنسان المسلم، واتبعت الدراسة المنهج التحليلي الكيفي والمقارن، وتوصلت الباحثة إلى أنّ علاقة الإنسان بالبيئة كما يحددها الإسلام ليست علاقة عداوة، وإنما صداقة وتعايش وأنّ القيم البيئية تنحصر في أربعة أقسام هي: قيم المحافظة، وقيم الاستغلال وقيم التكيف والاعتقاد وقيم الجمال، وتبين من نتائج الدراسة أنّ دور التربية الإسلامية في تنمية هذه القيم يتم من خلال الأساس العقدي والبصيرة البيئية والجمالية عبر وسائط ثقافية متعددة.

وقامت ريان(٢٠٠١) بدراسة هدفت إلى دراسة واقع منهج التربية الجمالية للطفل وقد تناولت هذه بعض جهود المفكرين الجماليين المعاصرين المتناغمة مع ثقافة المجتمع والأفكار السائدة في مجتمع ومعتقداته وعاداته وفنونه وأخلاقه وأساليب حياته، كما ساق مجموعة من الأمثلة من المفكرين كهربرت ريد، و إتيان سوريو، أوريـنش وتحدثت الباحثة فيه عن وسائل ومصادر التربية الجمالية للطفل في الأسرة والبيت ووسائل الإعلام، ووضعت بعض آفاق الجمالية والثقافية للطفل العربي، وقد توصلت الدراسة إلى أن التربية لابد لها أن تهتم بالمناخ الأسري المناسب للتربية الجمالية للطفل، وكذلك إن للإذاعة والتلفزيون دور بإثراء المادة الفنية للطفل التي تسهم في بناء ذوقه الجمالي بل وقدرته على الإبداع.

وهدفت دراسة جمعة (٢٠٠٣) التأكيد على مدى فاعلية احتواء منهج التربية الفنية في التعليم العام على النقد الفني والتذوق الجمالي في بناء الشخصية المتكاملة لدى تلاميذ المدارس للتفاعل من خلالها في تكوين اتجاهات جمالية ترفع من مستوى الذوق العام، والارتقاء الجمالي بسلوكيات التلاميذ تجاه البيئة المدرسية وما حولها. وقد تحدث الباحث عن الاتجاهات الحديثة في مجال تعليم الفن، والجمال وكذلك موقع التذوق الجمالي والنقد الفني في الثقافة الفنية، وكذلك إبراز أهمية التذوق الجمالي في تنمية القدرات الإبداعية عند التلاميذ، وبين دور النقد الفني في بناء شخصية التلميذ تربويًا وفنيًا وكشف عن أثر التذوق الجمالي في تنمية التفضيل الجمالي لدى التلاميذ، وكذلك دور المعارض والمتاحف فنيًا وثقافيًا وتذوقيًا، وبيان جماليات البيئة الطبيعية، وكيفية تقديم الرؤية الفنية للطفل وهذا وقد توصلت الدراسة إلى ضرورة الاهتمام بمناهج التربية الفنية بالتعليم العام بوضع مساحة لدراسة النقد الفني والتذوق الجمالي للفنون للارتقاء بمستوى الذوق العام لدى النشء، كذلك تقوية القدرة على بسط الطابع الجمالي في سلوك التلاميذ ضرورة جعل التربية الجمالية ذات طابع حيوي يتفاعل معها التلميذ من آن وآخر بنوع من الحب والارتقاء في السلوك والعلاقات الاجتماعية السوية ويتكون عنده القدرة أيضًا على النقد والتحليل وإبداء الرأي الجمالي.

وهدفت دراسة الشربيني (٢٠٠٣) إلى التعرف إلى نوعية الرسوم المقدمة في مجلة علاء الدين، إضافة إلى القيم التربوية والقيم الجمالية التي تعكسها تلك الرسوم، وكيفية تعبير رسامي قصص الأطفال ورسامي الأطفال عمَّا يريدونه فضلاً عن مدى ارتباط القيم التربوية بالقيم الجمالية التي كشفت عنها تلك الرسوم، وذلك من خلال طرح مجموعة من الأسئلة، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها حصول قيمة الحب على أكبر عدد تكرارات من بين القيم التربوية أي في المرتبة الأولى، وكانت قيمة التعاون في المرتبة الثانية كقيمة تربوية أما في القيمة الجمالية فقد كان الأسلوب التعبيري هو المسيطر على كافة الرسوم.

وقام قماش (٢٠٠٣)، بدراسة هدفت البحث في منهجية التربية الجمالية والتذوق الفني من منظور إسلامي كما وضحها القرآن الكريم واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليل لاستنباط مبادئ التربية الجمالية في الإسلام من القرآن الكريم والسنة النبوية، وتوصلت الدراسة إلى أن التذوق والنقد الفني من منظور إسلامي هو من صميم مفهوم العقيدة وأن الإسلام اعتنى عناية بالغة بموضوع الجمال، فالجمال والتربية الجمالية طريق إلى معرفة الله، كما أن التربية الجمالية تربي في الإنسان سمو الذوق الذي يتجسد في أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية.

وأوضح الحبيب (2006) بدراسته إلى بيان تفسيرات الفلاسفة الغربيين لمفهوم المعيار الجمالي وبيان وجهات نظرهم حول المقصود بالجمال وقيمة الفن والمتعة، وتناولت الدراسة الخلاف بين المدارس الفرنسية والإنجليزية والتحليلية في المعيار الجمالي ونسبية ذاتية الجمال، وكذلك آرائهم في الجمال هل هو مفهوم ذاتي أم مفهوم مطلق واختلافهم في المعيار القياسي والمقاسات الشخصية في الزمان والمكان، وقد توصلت الدراسة إلى ضرورة تقديم معلومات أكثر عن معايير القيم الجمالية والمدارس النفسية والتربوية حول هذا الموضوع.

أما دراسة موسى (٢٠٠٧) فقد هدف إلى الحديث عن القيمة الجمالية بمفهومها الواسع عند بعض الفلاسفة وعند بعض علماء المسلمين أمثال أفلاطون، أرسطو، كانط، هيجل، ماركس، التوحيدي. وبين الباحث الجدلية الجمالية عند العلماء حول جمال المعرفة وجمال القيمة، وكذلك تكامل العلاقة الجمالية بين العدل والحق والأخلاق والجمال والتوافق بين الفكر والوجود، كما بينت الدراسة ضرورة ترسيخ الثقافة الجمالية والفنية؛ لأن هذا لا يكمن أهميته فقط في تثقيف الذوق وترقيته وترهيف الإدراك وتقويته وإخصاب الخيال وإثرائه وتنمية ذكاء وقدرة الإنسان على الخلق والابتكار والملاحظة والاستيعاب والتفكير بل كذلك في تحذير بعض القيم معاييرًا جمالية في تنظيم وانسجام ووضوح واتزان وتناغم واعتدال في وجودنا وإحساسًا وحدسًا

وتفكيرًا، وهي معايير نحن في أمس الحاجة إليها لأن علاقة الفكر بالجمال علاقة متلازمة وطيدة.

وأشارت دراسة سليم (٢٠١٠) إلى بيان الاجتهادات والآراء حول مصادر التربية الجمالية، وكذلك الآراء حول ترتيب هذه المصادر، وبين أن الديانات السماوية والفلسفات القديمة تحدثت عن هذا الموضوع، وتناولت الدراسة التربية الجمالية في المأكل والملبس وفي النظام والنظافة والطهارة، وكذلك في جماليات الصوت، والسلوك الحياتي كما تحدث الباحث عن أساليب التربية الجمالية مثل أسلوب أداء العبادات، القصة، القدوة، النصح والموعظة، أساليب الترغيب والترهيب، أسلوب تكوين العادة، وقد خلصت الدراسة إلى أن التربية الجمالية تحتل مكانة مهمة في حياة الفرد والمجتمع وأن مصادرها متعددة لا تعتمد على مصدر واحد.

يلاحظ من الدراسات السابقة أن هناك دراسات تناولت التربية الجمالية من منظور إسلامي بجوانب محددة، ونظراً لقلة الدراسات في مجال التربية الجمالية في الإسلام والفلسفات التربوية الغربية المعاصرة، جاءت هذه الدراسة مختلفة عن الدراسات السابقة في طرحها. ولكن لم يعثر الباحث على دراسة واحدة تحدثت عن موضوعات الدراسة الحالية مجتمعة في بحث واحد لهذا جعل الدراسة متميزة بين الدراسات والبحوث التي كتبت في مجال التربية الجمالية.

مناقشة نتائج الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها: بعد هذا العرض السريع للخلفية النظرية لموضوع الدراسة يأتي دور الإجابة عن التساؤلات التي طرحتها الدراسة على النحو الآتي:

إجابة التساؤل الأول الذي ينص على: "ما المنظور الإسلامي إلى التربية الجمالية؟"

لم ينظر الإسلام إلى الجمال نظرة اصطلاحية مجردة، أو كشيء مرئي مدرك، وإنما نظر إليه كجزء من صميم بنية الوجود، وكل الأجزاء في علاقة الخلق بالخالق، لأنّ وجوداً يصدر عن واهب كل الوجود ولا بد أن يتسم في بدئه وختامه بجمال الخالق. وللجمال في المفهوم الإسلامي أبعاد متناغمة، فهو جمال موضوعي أول الأمر، بما هو تجسد لقدرة الخالق في الخلق، ثمّ هو جمال إسنادي بمعنى؛ أن هناك قيماً معينة يمكن إذا أضيفت إلى وضعيات وجودية أو إنسانية أن ترفع بهذه الوضعيات إلى مستويات أخرى جمالية، كما يضاف التواضع إلى القوة فتصبح قوة جميلة وليست قوة غاشمة، أي ما دام الجمال قيمة موضوعية نراها في الشجر والمطر، والسحاب والجبال، والفراش، والورد، والأصوات والألوان. وكل ما برأ الله من وجود جمالي يتعالى على

مر العصور، وما دام الجمال كذلك قيمة إضافية ترتفع بكل ما تستند إليه، فإذاً هو رائع الجمال، فإنّ الإسلام لا يمكن أن يستهين به أو يتجاوز قيمه، كونه جزءاً من صميم البنية الوجودية، وكل الأجزاء في علاقة الخلق بالخالق والكون بالتكوين (العزب، ٢٠٠٠).

لقد تعددت الطرق والأساليب الموجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال المفكرين المسلمين التي تساعد الفرد على التنمية الجمالية لديهم، وتعددت المواقف التربوية التي تدعوا إلى التنشئة الجمالية، وأبرز هذه الأساليب وتلك المواقف ما يلي:

أولاً. التصوير الفني في القرآن الكريم: يظهر ذلك عبر تنمية الجمال من خلال المشاهد الطبيعة الخلابة كواحدة من الأدلة على قدرة الله تعالى {الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل ترى من فطور ثمّ ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير} [الملك: ٣ -٤]. فهذه لوحة طبيعية منسقة يوجه إليها البصر لينقل ما يراه إلى النفس وليقع فيها ما يقع من الأثر لتؤمن بقدرة الله. وإذا تعرضنا إلى تجسيم المعنويات المجردة نجد أن هناك صور عديدة منها: {والصبح إذا تنفس} [التكوير: ١٨]، فيخيل إليك الحياة الوديعة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياه، وهو يتنفس مع الحياة ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء.

وهناك صورة الشمس والقمر والليل والنهار، وهما في سباق دائم: {لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار} [يس: ٤٠]. وإنه لسباق جبار لا ينتهي ولا يفتر في ليل أو نهار، وهناك الصورة التي ترسمها الآية: {قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مداداً}[الكهف: ١٠٩]، فالخيال يظل يتصور تلك الحركة الدائبة، حركة الإمداد بماء البحر لكتابة كلمات الله في غير ما توقف ولا انتهاء وإلى أن ينتهي البحر في النفاذ.

والتعبير القرآني يتناول القصة بريشة المصور حادثاً يقع ومشهداً يجري، لا قصة تروي ولا حادثاً مضى، فنشهد "أصحاب الكهف" يتشاورون في أمرهم بعدما اهتدوا إلى الله بين قوم مشركين، وينتهي المشهد عندما يأوون إلى الكهف وسيدل الستار، فإذا رفع الستار مرة أخرى وجدناهم قد نفذوا ما استقر عليه رأيهم، فهاهم أولاً في الكهف، ثمّ ها هم نراهم رأي العين: {وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه} [الكهف: ١٧].

إن المسرح الحديث بكل ما فيه من طرق الإضاءة وفنيات الإخراج ليكاد يعجز عن تصوير هذه الحركة المتناسقة وهي تزاور عن الكهف عند مطلعها فلا تضيئه. إنّ الألفاظ لتقوم بالمعجزة مرة أخرى فتنقل هيئتهم وحركتهم كأنما تشخص وتتحرك على

التوالي: {وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً} [الكهف: ١٨].

وهكذا تضطلع الألفاظ بالتصوير والحركة، بكل هذه السهولة، وفجأة تدب فيهم الحياة، {وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كلم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم} [الكهف: ١٩] وتتكرر المشاهد والصور وتتكرر المشاهد وتترك الفجوات للخيال. ويعرض القرآن الكريم مظاهر عدة للتربية الجمالية منها:

١. **الجمال في الكون:** يعرض القرآن الكريم الكون ومشاهده في صورة جمالية رائعة أخاذة يتملأها الحس والشعور والوجدان، فيحلق إلى آفاق هذا الوجدان الرائع {إنّ الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون} [الأنعام: ٩٥] أي روعة في هذا التعبير؟ وفي مطلع هذه الآية والتي يفسرها البعض بقوله: "الجمال هو البسمة البارزة في مشاهدة الكون، المشاهدة منتقاة وملتقطة من الناحية الجمالية، والعبارات كذلك في بناءها اللفظي الإيقاعي فتبدو الحقيقة ذاتها وكأنها تتلألأ في إباء" (خليل، ٢٠٠٥).

ومما يوحي بالسمت الجمالي ذلك التوجيه الرباني إلى تجلي الجمال في ازدهار الحياة {انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه} [الأنعام: ٩٩] ، فهو التوجيه المباشر إلى الجمال الباهر والاستمتاع الواعي، إن تلوين زهرة واحدة وتنسيقها ليعجز عنه أعظم رجال الفن من البشر، وإن تموّج الألوان وتواصل الخطوط وتنظيم الورقات في الزهرة الواحدة ليبدو معجزة تتقاصر دونها عبقرية الفن القديم.

وهكذا يدعو القرآن الكريم المسلم إلى التأمل والتدبر في إبداعات الخالق فتقوى صلته به وتزداد حاسته الجمالية، وكما قال ميكائيل انجلو "إننا لا نصور بأيدينا ولكن بعقولنا"؛ ومعنى هذا أن الفنان يعبر عن الصورة التي إبداعها خياله والرؤى التي تكونت داخله فجاء تعبيره عنها موضوعياً أو حسياً (الخوالدة، والترتوري، ٢٠٠٦).

٢. **عالم الإنسان والحيوان:** نقرأ في القرآن الكريم الآيات التي تتحدث عن جمال الحيوانات من حيث التركيب المدهش، والألوان المثيرة، والوظائف البديعة، والغرائز المحكمة، والحركة التي تأخذ إيقاعات متعددة {والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمالٌ حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلَا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون} [النحل: ٥ –٨] وقوله تعالى: {إنها بقرة فاقع لونها تسر الناظرين} [البقرة: ٩٩] ونقرأ عن الإنسان نفسه _سيد المخلوقات_ وكيف خلقه الله في أحسن تقويم، جسداً وعقلاً ونفساً، وكيف صوره فأحسن صورته، {لقد خلقنا الإنسان

في أحسن تقويم} [التين: ٤]، {وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات} [غافر: ٦٤] ، {وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير} [التغابن: ٣] ، {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، الذي خلقك فسواك فعدلك، في أي صورة ما شاء ركبك} [الانفطار: ٦ – ٨].

٣. **جمال البيئة:** من مظاهر حرص الإسلام على جمال البيئة ونظافتها، نهيه عن التعرض للأشجار بالقطع، أو الإحراق، ويتجلى ذلك في الحديث الذي رواه سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثمّ قال: " اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولوا تقتلوا وليداً. . . " (مسلم، ١٩٩١).

كما يتجلى في وصية أبي بكر الصديق_ رضي الله عنه_ لأسامة بن زيد قائد جيش المسلمين إلى الشام، ومن معه من المسلمين، حيث قال: لا تخونوا، ولا تغدروا ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شخصاً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله. وقد وردت الأحاديث النبوية الشريفة بالدعوى إلى إماطة الأذى عن الطريق، وذلك من حديث أبو هريرة _رضي الله عنه_ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضعُ وسبعون أو بضع وستون شعبة، أفضلها. قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان "(البخاري، د. ت). ومما سبق يدل على حرص الإسلام على الانتفاع بجمال الكون من خلال المحافظة على مكوناته، وعدم التعرض له بالأذى أو التدمير.

ونقرأ من تزين الأرض بالخضرة الواعدة، وعن البهجة الجمالية التي يهبها الشجر، والزرع، والزهر للإنسان في هذا العالم {فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها} [النمل: ٦] ، {وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج} [الحج: ٥]. {وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجناتٍ من أعناب والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون}[الأنعام: ٩٩].

٤. **جمال العلاقات الإنسانية:** توشك العلاقات الإنسانية كلها في الإسلام أن تكون نابعة من قيم الجمال، وهادفة إلى قيم الجمال كذلك، لأنّ مجمل العلاقات الإنسانية هي: علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان بالآخرين، وعلاقة الإنسان بالكون، وعلاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى (العزب، ٢٠٠٠).

فالجمال يطهر علاقتنا بأنفسنا، حيث يوحي إلينا نزعة التعامل العاقل، الذي لا يدمر في ارتفاعه الشاهق إلى أعلى، ولا يكظم في إيغاله المرهق إلى تحت، إنه يوقفنا أمام تناسق الإشباع المادي من أعراض الحياة، والإشباع الروحي من تجليات العبادة، ويحفظ علينا هذا التناسق الفذ في إيقاعه المتوازن، فإذا نحن نمضي على الدرب في حراسة هذا التوازن الجميل، والجمال يطهر علاقتنا بالآخرين، حيث يقيمها أساساً على وطائد من الفهم المتبادل والتضامن من الواثق، والإخوة العقدية، والسلام الأرحب، والتبادل النظيف، إنه يغرينا بالعدل والحب، والتسامح، والفكر، والإيثار، والتضحية، وإضاءة كل المصابيح.

كما يطهر الجمال علاقتنا بالكون، حيث يقيمها على أساس من التجاوب المحب، فنحن حين نستشعر الجمال في نجمة أو نسمة، نفتح كل مغاليق ذواتنا على جمال الوجود، وحيث نستشعر الجمال من مشهد طبيعي أو مشهد إنساني، نرفض أن نقدم بالتدمير على روائع هذا الجمال.

والإسلام يضع الجمال في إطاره المتجدد، فإذا جاور تخومه إلى تخوم أخرى، كان دميماً ومرفوضاً كذلك، فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً، قال: إن الله جميل يحبُ الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس" (الترمذي، د. ت). هنا يتحدد الجمال في الشكل والمحتوى كذلك، فإذا ندّ عن سوائه القاصد كان جمالاً مغلوطاً، أو قل: كان غير جمال وغير جميل.

ثانياً. أثر الجمال على النفس البشرية:

للمسلم هدف سام في هذه الحياة، وهو تحقيق رسالة الله تعالى في الأرض، ونشر العدالة والأمن بين الناس جميعاً، وكل أساليب التربية الإسلامية تسير نحو تحقيق هذا الهدف، والجمال يحرك الهمم إلى التدبر في ملكوت الله تعالى، فيشعر الفرد بالجمال، وحين يؤثر الجمال في المسلم داخلياً فإنّ سلوكه يصبح قائم على أساس من الإحساس الرقيق والذوق الجميل، وأثر الجمال في الفكر الإسلامي يظهر جلياً بما يأتي:

١. **الفطرة والجمال:** يرى المفكرون التربويون الإسلاميون أن الإحساس بالجمال هو أثر فطري أصيل في جبلة الإنسان، والميل إليه طبيعة في النفس، تهفو إليه حيث وجد، وتشتاقه إذا غاب، فقد أكد الغزالي (١٩٩٨) على أنّ الجمال بجميع أشكاله المادية والمعنوية، هو من نعم الله تعالى علينا، وهبة من هباته، فقال: "لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسنات الله، وأثر من آثار كرمه، وغرفة من بحر جوده، بل كل حسن وجمال في العالم إدراك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس، فهو ذرة من خزائن قدرته وجماله". ويتحدث القرآن الكريم عن أمتنان الله على الإنسان

بما يلبي حاجاته الضرورية، وحاجاته الجمالية، يقول الله تعالى: {وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها} [القصص: ٦] وقوله تعالى: {أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله} [الرعد: ١٧].

وفي ذلك يقول الغزالي (١٩٩٨): "الطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار المليحة والألوان الحسنة والنقش المتناسبة الشكل، ولا أحد ينكر كوّن الجمال محبوباً بالطبع". ويقول ابن تيمية: "الإنسان مجبول على محبة الحسن وبغض السيئ؛ فالحسن جميل محبوب مراد، والسيئ الكريه مكروه مبغض"، ويؤكد ذلك تلميذه ابن القيم فيقول: "والقلوب المطبوعة على محبته، كما هي مفطورة على استحسانه" (ابن القيم، ١٩٩٤).

أما من المعاصرين فنجد نفس المضمون في تأكيد ارتباط الجمال بالفطرة، وفي ذلك يقول محمد قطب (١٩٨٤): "ونظرة إلى السماء كافية لرؤية هذه الزينة، ولا نشك في أن الجمال عنصر مقصود في بناء هذا الكون، وأنّ صنعة الصانع فيه بديعة التكوين جميلة التنسيق، وأنّ الجمال فيه فطرة عميقة"؛ فالجمال في نظره أمر فطري وهو قضية مسلم بها لا تحتاج لدليل.

٢. الجمال وأثره في النفس:

نجد أثر الجمال في النفس الإنسانية من خلال مشاهد قرآنية متعددة سنقتصر فيها على بعض الأمثلة حسية الإطالة، ونسوق مثلاً موقف موسى من قارون وما أوتي من كنوز، فقد أنقسم المشاهدون إلى فريقين، فريق يتمنى وآخر يتسامى، فالمشهد مؤثر في النفس، ولكن وجود الإيمان هو العامل المضاد في النفوس المؤمنة، وفي هذا المشهد يصور لنا القرآن الكريم التأثير الجمالي على النفس البشرية، فيقول الله تعالى { فخرج على قومه في زينته، قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلّا الصابرون}. والجمال وسيلة من وسائل اختبار النفوس بقوله الله تعالى: {إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسنُ عملاً}[الكهف: ٧].

ويقول تعالى: {ولا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرٌ وأبقى} [طه: ١٢١]. نجد في هذه الآيات أنّ الجمال وسيلة من وسائل الاختبار، أيهما أحسن وأجمل عملاً في الحياة الدنيا، وأنّ ميدان البشر والخير ميدان للاختبار، وأنّ الابتلاء كان في الزينة والجمال فكان هذا ميداناً للاختبار.

ويرى ابن سينا أنّ الجمال والخير موجودان في كل شيء، غير أنّ وجودهما عرض زائل، فلا وجود للخير التام إلا على الأشياء العامة، فالنار تولد الشرر، إلاّ أنّ

وجود النار بصورة عامة خير، ولا يمكن أن تبلغ النار غايتها، وتصل إلى نهايتها، إلا إذا كانت محرقة. يقول ابن سينا: " كل جمال مُلائمة خير مُدَرك، فهو محبوب ومعشوق، ومبدأ إدراكه إما الحسن وإما الخيال، وإما الوهم، وإما الظن، وإما العقل"، يبين ابن سينا من خلال النص أنّ الجمال والخير من الأمور المحببة والمرغوبة، وأنّ أساليب إدراك الجمال والإحساس به يكون عن طريق الحس والخيال وغيرها من الوسائل. وبالتالي فإنّ نظرته للجمال واقعية، لأن الجمال ليس كاملاً في كل الأحوال فالخير والشر، والقبيح والجميل، يسيران جنباً إلى جنب، والاعتدال بين هذه الجوانب هو أساس التربية الجمالية (شمس الدين، ٢٠٠٤).

وقد تكون الزينة هي المنزلق الذي بسبب الإخفاق في هذا الاختبار بما لها من سلطان على النفوس، وهذا السلطان هو الذي يعتمد عليه الشيطان في وسوسته وإغوائه بني آدم يقول الله تعالى: {ربي بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين} [الحجر: ٣٩ – ٤٠]. ويقول الله تعالى في موضع آخر: {تالله لقد أرسلنا إلى أممٍ من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم ولهم عذاب أليم}[النحل: ٦٣].

٣. الجمال جزاء العمل الصالح:

بما أنّ للجمال تأثيره البالغ على النفس، فقد جعله الله من الجزاء على العمل الصالح، ويكون الجمال هو العنصر البارز في الثواب، وجاء التركيز على حاسة البصر لأنها الوسيلة لاستشعار هذا اللون من النعيم في قوله تعالى: {أولئك لهم جنات عدنٍ تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس و إستبرق متكئين فيها على الأرائك} [الكهف: ٣١]. وتنتقل العين عبر هذه المشاهد من جمال إلى جمال في الجنات التي التفت أشجارها وتلاقت أغصانها، والمياه المنسابة الرقاقة، والحلي الملونة، والألبسة الحريرية، إنها مشاهد تحير العين على أيها تستقر. {إنّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلوّن فيها من أساور من ذهبٍ ولؤلؤا ولباسهم فيها حريرٍ} [الحج: ٢٣]. يلاحظ مما سبق، أنّ الاستمتاع بالجمال يشبع حاجة نفسية عند الإنسان لا تقل أهمية عن الحاجات البيولوجية عنده؛ فالجمال إحساس رقيق يسري في المخلوقات ويشبع فيها، ولا يدرك هذا الإحساس إلا من سرى في نفسه الجمال، وشع في ذاته، أما أصحاب النفوس المظلمة والمشاعر المعتمة، فإنهم لا يدركون سر الجمال ولا يرون آثاره.

ثالثاً. التربية الجمالية عند نماذج من المفكرين المسلمين:

سأقتصر في عرضي للآراء الجمالية عند المفكرين التربويين الإسلاميين على ثلاثة نماذج، يمثل كل نموذج منها مفكراً تربوياً إسلامياً. وهذه النماذج هي:

١. التربية الجمالية عند المتصوفة وعلماء الكلام، ويمثلهم الإمام الغزالي.

٢. التربية الجمالية عند الفقهاء، ويمثلهم ابن قيم الجوزية.

٣. التربية الجمالية عند الفلاسفة، ويمثلهم ابن سينا.

أولاً. أبو حامد الغزالي: يعد الغزالي أحد العلماء المهتمين بعلم الجمال، وكانت له أقوال مميزة في تفصيل الجمال وتقسيمه. وقد وضع تعريفاً للجمال. فقال: " هو حسن كل شيء في كماله الذي يليق به"، وفسره بقوله: "جمال كل شيء وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به، الممكن له، فإذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة، فهو في غاية الجمال. وإن كان الحاضر بعضها، فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر، فالفرس الحسن هو الذي يجمع كل ما يليق بالفرس من هيئة، وشكل، ولون، وحسن عدو وتيسير كر وفر". وأكد الغزالي على أن الجمال بجميع أشكاله المادية والمعنوية، هو من نعم الله تعالى علينا، وهبة من هباته، فقال: " لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسنات الله، وأثر من آثار كرمه، وغرفة من بحر جوده، بل كل حسن وجمال في العالم إدراك بالعقول والإبصار والأسماع وسائر الحواس، فهو ذرة من خزائن قدرته وجماله " (الغزالي، ١٩٩٨). إن إدراك الظواهر الجمالية في نظر الغزالي يتم عبر نوعين المصادر وهي:

١. إدراك الظواهر الجمالية عن طريق الحواس: وهذه تتعلق بتناسق الصور الخارجية، وانسجامها سواء أكانت بصرية أم سمعية أم غير ذلك، ويقدم الغزالي أمثلة لمدركات الحواس، فيقول: " لذة العين في الإبصار، وإدراك المبصرات، والصور المليحة الحسنة، ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة، ولذة الشم في الروائح الطيبة، ولذة الذوق في الطعام، ولذة اللمس في اللين والنعومة ".

٢. إدراك الظواهر الجمالية عن طريق الحدس: ومصدر الحدس عنده العقل والقلب، فقد ميز بين العقل والقلب، فهو يرى بأن المعقولات التي تولد لذة في العقل فإن مرجعها جمال المعقول، وفرق بين جمال المعقول وبين جمال الصفات الباطنة التي يستشفها الوجدان و في ذلك يقول: " القلب أشد إدراكاً من العين، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للإبصار، فالقلب يدرك الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس، وإن المثل الأعلى للجمال هو الله" (دخل الله، ٢٠٠٧).

إن الجمال الحقيقي هو الجمال المدرك عن طريق القلب كما يرى الغزالي وفي ذلك يقول: " واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال، والله تعالى جميل يحب الجمال، ولكن الجمال إن كان يتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر، وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخير لكافة الخلق، وإضافتها عليهم على الدوام. إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب" ويضيف أيضا: " ولفظ الجمال قد يستعار أيضاً، فيقال فلاناً حسن وجميل ولا تراد صورته، وإنما يعنى به أنه جميل الأخلاق، محمود الصفات، حسن السيرة، حتى قد سحب ذات الصفات الباطنة استحساناً لها، مثلما تحب الصورة الظاهرة". (دخل الله، المراجع السابق). فالإحسان الحقيقي بالجمال يكون عن طريق الإدراك العقلي، أي منبعه من الباطن. لذلك حرص الإسلام على أن يكون هذا الباطن نقياً، حتى يستطيع الإنسان أن يشعر بالجمال أينما ذهب، ومن هنا فإن تربية الذوق الجمالي إنما تبدأ من تنقية العقل والفؤاد وتصفيته، وابتعاد الإنسان عن ارتكاب المعاصي والذنوب والزلات.

ثانياً. ابن قيم الجوزية: وهو أحد العلماء المسلمين الذين اهتموا بالجمال، وقد قسمه إلى قسمين: ظاهر وباطن، وقد بين صفات كل نوع، حيث قال: " اعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر وباطن؛ فالجمال الباطن: هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم، والعقل، والجود، والعفة، والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله تعالى من عبده، وموضع محبته، كما في الحديث الصحيح الذي أورده مسلم عن أبي هريرة_ رضي الله عنه _ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (ابن قيم الجوزية، ١٩٩٤).

وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة، وإن لم تكن ذات جمال، فتكسو صاحبها بالجمال، والمهابة، والحلاوة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات فإن المؤمن يعطى مهابة وحلاوة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه، ومن خالطه أحبه، وأما الجمال الظاهر: فزينة خص بها الله بعض الصور عن بعض، وهي من زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها: {يزيد في الخلق ما يشاء}[فاطر: ١]. لهذا يتحتم على من يتولى عملية التربية والتنشئة للناشئين، الاهتمام البالغ بغرس القيم الفاضلة، والأخلاق الحميدة لديهم، حتى تتكامل الصورة الجمالية داخلياً وخارجياً، ذلك أن الفرد إذا أنشى على الجمال، أو ربي تربية جمالية، كان أكثر إحساساً بالجمال، وأكثر تحقيقاً له في نفسه، وفيمن حوله.

ثالثاً. ابن سينا: يرى ابن سينا أن الجمال والخير موجودان في كل شيء، غير أن وجودهما عرض زائل، فلا وجود للخير التام إلا في الأشياء العامة، فالنار تولد الشرر، إلا أن وجود النار بصورة عامة خير، ولا يمكن أن تبلغ النار غايتها وتصل إلى نهايتها،

إذا كانت محرقة، ومعنى ذلك أن الجمال مرتبط بالخير، ويكمن الخير داخل الشخص من خلال التعامل مع الآخرين.

يقول ابن سينا: " وكل جمال ملائمة خير مدرك، فهو محبوب ومعشوق، ومبدأ إدراكه إما الحس وإما الخيال، وإما الوهم، وإما الظن، وإما العقل "(ابن سينا، ١٩٨٨)، ويبين ابن سينا من خلال هذا النص أن الجمال والخير من الأمور المحببة والمرغوبة، وأن أساليب إدراك الجمال والإحساس به يكون عن طريق الحس والخيال وغيرها من الوسائل. وبالتالي فإن نظرته للجمال واقعية، لأن الجمال ليس كاملاً في كل الأحوال، فالخير والشر، والقبيح والجميل، يسيران جنباً إلى جنب، والاعتدال بين هذه الجوانب هو أساس التربية الجمالية.

رابعاً. المدلول التربوي للجمال في التصور الإسلامي: لما كان القرآن الكريم يستهدف أن يعيش المسلم خبرته الجمالية لكامل كينونته، ولما كان تذوق الجمال من أسمى ما يمتاز به الإنسان، لذلك كانت التربية الإسلامية تهدف إلى أن يمتص الإنسان من بيئته العامة والخاصة كل ما يحمله الذوق والجمال من أبعاد ومستويات، إذ أن الكون كله من حولنا في تناسق وتناغم وجمال، وكان من اللازم تأهيل الشخصية الإسلامية للإحساس بهذا الجمال، وتربية الوجدان موازياً لتنمية جوانب شخصيته المتكاملة، لأن الجمال يحرك في الإنسان باطنه وشغاف قلبه، وبالتالي يخلص الجمال من التلبد الوجداني والخواء النفسي، الذي يمكن أن يشعر به في حياة يغلب عليها روتين واحد لا يتغير، ومن ثم يتسرب إليه الملل، ومن شأنها أيضاً إحساس الإنسان القويم بالقيمة حتى يصبح أقدر على تذوق الجمال، ويتضمن المدلول التربوي للجمال في الفكر التربوي الإسلامي ما يأتي:

١. تدريب الأحاسيس الإنسانية وفتحها على مشاهد الكون كله.

٢. توجيه الإنسان نحو الجمال في أسلوب القصص القرآني.

٣. توجيه الإنسان إلى إدراك التناسق في العلاقات الإنسانية.

٤. تنمية القدرة على التمييز الدقيق فيما تتأثر به حواس الإنسان، سواء من الأشكال أم الألوان.

٥. ممارسة النشاطات الفنية المختلفة واستثمار مواهب الإنسان.

٦. تنمية الخبرة الجمالية في شتى مجالات الحياة، بحيث تفيض وتضفي على الحياة الإنسانية معنى وجمالاً.

٧. إنماء عاطفة الجمال الكامنة في النفس، وذلك عن طريق الجمال وإنتاجه_ أي الابتكار_.

إجابة السؤال الثاني الذي ينص على "ما هي صورة التربية الجمالية في النظريات الغربية المعاصرة؟

ترى التربية المعاصرة أن الانفعالات الطبيعية لها أهمية كبرى في حياة الفرد لأنها تريح نفسه وتدخل عليها النشوة والبهجة، وهذا يعبر عن منابع الجمال والفن، وتذوق الجمال يؤدي إلى نتيجة طيبة في سلوكه، ويعينه على ضبط نفسه، فإذا تأمل صورة أو باقة زهر واستمتع بسماع الموسيقى فإنّ هذا سيكون سبباً في طرافة حياته وشعوره باللذة. والتربية الجمالية تؤدي إلى إعلاء الغرائز فهي بذلك تؤدي عملاً أخلاقياً، ومن هنا فإنّ التربية المعاصرة تقول: "علينا أن نوجه الطفل إلى جمال الطبيعة ونجعله صديقاً لها"(Bender ,2000).

والشيء الجميل هو الذي يريح نفس الإنسان، ويجعل النظر إليه محبباً ويبعث على التخيل، و يكون عن طريق النظر والتأمل، وإدراك الجمال لموضوع ما معناه التأمل يعمق فيه إدراك ما فيه من اتساق وانسجام أثناء التخيل، ويبصر الإنسان فيه معنى من المعاني التي ارتبطت بينه وبين نفسه وفي هذا إدراك تحقيقه الجمال(مجاهد، 2011).

وترى الفلسفات المعاصرة أن الجمال يكمن في الحركة، حركة القلب في عاطفة الحب، حركة العاطفة في البذل، حركة الضمير في يقظته، حركة الذهن في أفكاره وأدائه لرسالة كما يكون في السكون بعد الثورة، في الصمت بعد الضجيج، وفي التأمل بعد الدرس وفي الوفاء بعد الوعد، كما يكون في النمو وفي العمق وفي التجديد وفي النوع والخلق والإبداع والابتكار(مطر، ١٩٩٥).

ومن خلال اطلاع الباحث وجدّ أنّ التربية الجمالية كانت نتيجة لازدهار الحركات النقدية والفنية في الفترة الممتدة ما بين القرن السادس عشر وبداية القرن الحادي والعشرين وتتمثل بما يلي:

أولاً. نظريات التربية الجمالية في الفكر المعاصر:

من خلال اطلاع الباحث وجد أن هناك نظريات معاصرة تنبثق عنها التربية الجمالية اختار منها:

١. نظرية التجربة الجمالية: ترى أن التجربة الجمالية تلك التي يقوم بها الإنسان عند تأمل منظر في الطبيعة أو عمل فني لمجرد التمتع وليس لغرض آخر، بحيث يشعر نحوه بشعور قوي يدفعه لتكوين موقف من هذا الموضوع؛ أي أنّهُ مرّ بتجربة يحتفظ من خلالها بموقف جمالي، وتمر التجربة الجمالية بمرحلتين هامتين قبل أن تصل لمرحلة الإدراك وتكوين الحكم الجمالي، أولاهما: مرحلة الألفة الفنية، ويقصد بها التعاطف والتآلف والاستمتاع، أو محاولة الاستمتاع بالعمل الفني من خلال معرفة الإطار الثقافي

الفني، أي أنها تعاطف المتذوق مع العمل الفني بأن يزيل من باله أي فكرة مسبقة يمكن أن تعيق عملية التذوق.

والثانية: مرحلة التهيؤ النفسي، وهناك عدة أنماط من التهيؤ النفسي عند المدركين الجماليين، منها النمط الترابطي وهو إدراك لما يترابط مع الموضوع الجمالي من أحداث جرت في الماضي، والنمط الفسيولوجي، ويعتمد على ردود العقل الجسمية والعضوية والتي تختلف من إنسان لآخر، ولا يكون للتفكير العقلي أي دور في تقدير المتذوق، والنمط الموضوعي، وهنا يتدخل نوع من الانتباه الإرادي الذي يتطلب جهداً كبيراً في التركيز لجعل ما هو ليس جذاباً بطبيعته. جذاباً عن طريق التعاطف، بحيث يبتعد الناقد عن ردود الفعل التلقائية الذاتية ليصبح موضوعاً في تقديره ونمط الشخصية وأصحاب هذا النمط يتذوقون الموضوع الجمالي بحيوية وعمق شديدين، بحيث يدخلون في حالة من الاستغراق ونسيان الذات، والتقدير هنا لا يرتبط بردود الفعل العضوية والانفعالية ولا يتحول إلى أحداث حصلت في الماضي، وإنما يحتل الموضوع مركزه في الوعي والإدراك (زكارنة، ٢٠٠٢).

٢. **نظرية المحاكاة:** لقد اهتمت المدرسة الكلاسيكية المعاصرة بالمحاكاة وكذلك الحال بالنسبة للمادية والانطباعية في محاكاة الطبيعة من حيث الشكل واللوحات والظل والضوء، ولكن مع تحويل المعايير من مشابهة الواقع إلى معايير لها علاقة بالسمات المادية لعناصر العمل الفني بعيداً عن أي مشابهة للواقع. وللمحاكاة ثلاث نظريات رئيسة هي:

أ. **المحاكاة البسيطة:** والفن هنا ترديد حرفي لموضوعات التجربة وحوادثها، أي أن العمل الفني ينبغي أن يكون مطابقاً للنموذج الأصلي في الواقع، فمعيار الحكم هنا يكون في مدى مشابهته للواقع.

ب. **محاكاة الجوهر:** والفنان هنا يتوجه إلى الشيء الجوهري في الموضوع الذي أمامه فيؤكد عليه، وهنا يكون لكل عنصر من عناصر العمل الفني أهمية وليس التركيز على العمل ككل، بحيث لا يمكن حذف واستبعاد أي عنصر يرى الفنان أنه مهم، بعكس الأمور الثانوية والتي إن استبعدت لا تغير شيئاً في المفهوم الجوهري للعمل.

ج. **محاكاة المثل العليا:** وهنا يتم التركيز على ما يراه الفنان؛ كموضوع لائق بالمحاكاة دون غيره، وهذه المواضيع لابد أن تكون أخلاقية مهذبة وتستحق المدح والاستحسان، ولكن هذه النظرية غير كافية ؛ فهي تركز على أخلاقية الموضوع فقط دون العناصر الأخرى ؛ لأن قيمة الموضوع وحدها لا تحقق قيمة العمل.

٣. **النظرية الانفعالية:** فهذه النظرية تحلل الموضوع الجمالي، وتكشف عن قوته الدرامية، فتقدر عناصره باعتبارها مصدر للانفعالات الجمالية وترشدنا لتحليل العمل عن طريق محاولة تفسير أهميته بالنسبة للدلالة الشعورية، بالرغم من أنها لا تتماشى مع كل الفنون والتجارب الجمالية فهي لا تفسر عملية الخلق الفني، ولا تزودنا بنظام يمكن تطبيقه عملياً لتقدير المواضيع الجمالية، فهناك كثير من الأعمال الفنية التي تثير انفعالاتنا، ولكنها من ناحية تقنية تكون رديئة جداً. وقد علق (Zangwill,1995) على ذلك بقوله: "إن إخراج المرء لمشاعره في العمل الفني يحب أن يتم بطريقة واقعية فيها "نقد وتوجيه"، وهذا يعني ظهور رأيين في هذا المجال، رأي يقول بقول بعدم قيمة الموضوع إذا لم يوصل الفكرة للجمهور، ورأي آخر يشير إلى أنّه ليس من الضرورة أن تصل الفكرة إلى الجمهور كما هي، إذ أنه ليس بحاجة إلى بذل من الجهد لفهم ما يعبر عن العمل الفني.

٤. **النظرية السيكولوجية:** توجه أصحاب هذه النظرية إلى دراسة الواقع الباطني عند الإنسان أي دراسة أحلامه وأفكاره ورغباته المكبوتة وقدر رأى شارل لالو (١٩٩٢) بأنّ رغبات الإنسان المكبوتة إمّا أن تتحول إلى صراع مع العالم الواقعي، أو اتزان باطني يسعى الإنسان إليه عن طريق الحلم والتخيل أو عن طريق الإبداع الفني. أما(Ross,2001) فقد عرف العمل الفني حسب هذه النظرية" بأنّهُ نتاح صادر عن ضروب معقدة من النشاط النفسي اللاإرادي الشعوري، والذي يعكس شخصية الفنان، وأنّ الفنان لا يعيش حياة سوية مثل الآخرين لأنه يعيش اللاشعورية عند الإنسان العادي، أي أنّ الفنان يحب أن يملك حدساً قوياً يميزه عن الإنسان العادي.

٥. **النظرية الشكلية:** تنظر النظرية الشكلية إلى الفن على أنّه يجب أن يكون منفصلاً تماماً عن الأفعال والموضوعات التي تتألف منها الحياة، فالفن عالم قائم بذاته وليس ترديداً للحياة، وقد بدأ ذلك عندما توجه فنانو المدرسة الانطباعية إلى دراسة اللون والظل والضوء والملمس، دون إعطاء أهمية كبرى للموضوع، وتطور ذلك عندما أحس الفنانون بأنّ الأشكال فقدت ثقلها وصلابتها، فما كان منهم إلا أن اهتموا بالشكل أكثر وأكدوا عليه وراعوا نسبته بين الأشكال الأخرى في العمل وذلك على حساب الموضوع أيضاً، ومفكري هذه النظرية أمثال "كلايف" و "روجر فري" أشاروا إلى أن قيمة العمل يجب أن تكون في ذاته وليس في القيم الأخرى لأن ما يؤثر فينا هو الشكل والقالب وليس الأفكار والمعلومات الموجودة في العمل(Roger,2000).

٦. **نظرية الجمال الفني:** لقد عد أصحاب هذه النظرية أن الفن الجميل إبداع بشري يمكن أن يكون ممتعاً أو جميلاً هدفه جذب المشاهد جمالياً، دون أي تعارض مع النظريات السابقة، وقد عدت هذه النظرية هامة جداً من حيث أنها تخفف الحدة بين

النظريات الأخرى، إلى جانب أنها تعترف بالحقيقة الكامنة في كل النظريات، كما تكشف عن حقيقة أوسع مما تكشف عنه أي نظرية أخرى، فتبين أن العمل الفني يمكن أن يشتمل على الموضوع والشكل والتعبير وأن لكل من هذه العناصر أهميتها.

ثانياً. فلسفة الجمال عند مفكري العصر الحديث: سيتناول الباحث نظرة بعض نماذج من مفكري العصر الحديث للتربية الجمالية ومنهم:

١. **فلسفة الجمال عند هوبز:** لقد بنى هوبز أفكاره الجمالية على أساس نظريته العامة في المعرفة، إذ رأى أنّ مصدر المعرفة الإنسانية هو الإحساس، وعلى هذا الأساس يقرر بأنّ تلازم الخيال والإدراك الحسي هو الشرط الضروري لخلق كل أنواع الفنون وبالتالي فإنّه يعرف الجمال بأنّه: "مجموعة صفات الشيء التي تقدم لنا أساساً لكي نعد هذا الشيء خيراً لنا، إنهُ دلالة على الخير المقبل، فإذا توسمنا الخير في سلوك أو عمل سميناهُ جميلاً".

٢. **فلسفة الجمال عند ديكارت:** أما ديكارت أبرز مفكري العصر الحديث، حيث أشتهر بالتأكيد على مبدأ النسبية في الجمال، وتذوقه، ورأى أنّ الفنون تؤدي إلى لذة ذات طبيعة عقلية وذهنية، ولذة ذات طبيعة حسية وجدانية، ولكن نصيب الجانب الحسي من اللذة أكبر، بحيث لا يمكن أن نصل في الجمال إلى مقياس عقلي محدد، فيصبح الحكم الجمالي نسبياً. والخلاصة أن ديكارت يميز في اللذة الجمالية بين مرحلتين: مرحلة الحس، ومرحلة الذهن، وهي لا يمكن تصورها بدون المرحلة الأولى. (Grahm,1997).

٣. **فلسفة الجمال عند لبينتز:** ويأتي ليبنتز فيبعد النظرة السطحية السابقة في تفسير الجمال وتعمق في منهجه لحقيقة الجمال، وربطه بمذهبه الروحي وبمدى تميز الموجودات وبذلك يكشف عن فكرة اللاشعور أو ما وراء الشعور الظاهر(Ross,2001).

٤. **فلسفة الجمال عند إدموند بيرك:** يعد إدمو ند بيرك واحداً من أكبر فلاسفة الجمال الإنجليز في عصر التنوير، إذ يعد من دعاة التجريبية الحسية المعاصرة، فأساس التذوق الفني الجمالي عنده هو الحس، وهو واحد لدى الجميع، وإنما ترجع اختلافات الناس في أذواقهم إلى شدة الإحساس، أو إلى شدة تركيز الانتباه على الموضوع عند بعض الناس دون الآخرين، وحقيقة الأمر أن الاختلاف بين النفوس في هذا المجال إنما يرجع إلى عدم وجود معيار دقيق لقياس الذوق، وذلك يعزى إلى اختلاف الملكات العقلية الاستدلالية والخيال لدى الأفراد (Funshm,2005).

إجابة التساؤل الثالث الذي ينص على: "ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين نظرة كل من التصور الإسلامي والفكر الغربي المعاصر إلى التربية الجمالية"؟ بعد الحديث عن الأساس الفكري للتربية الجمالية في نماذج من كلا الفكرين الإسلامي والغربي المعاصر، لا بد أن نبرز حقائق قد أصبحت واضحة بينة منها:

١. بروز الأصالة والاستقلالية في التربية الجمالية في التصور الإسلامي، إذ أن مصدرها واحد، وهي ثمرة عقيدة مستقلة متميزة.

٢. يضع الإسلام الجمال في إطاره المحدود، فإذا جاوز تخومه إلى تخوم أخرى كان ذميماً.

٣. العلاقات الإنسانية كلها في الإسلام جميلة وهادفة إلى قيم الجمال.

٤. لم يقف الإسلام حجر عثرة أمام تنمية التفكير الابتكاري والإبداعي، بل إن الإسلام نوه بالعقل، وأشار بالتدبر والتعقل والتفكر، بل أن القرآن الكريم جعل من الإحساس بالجمال برهاناً عقلياً، ووجدانياً على وجود الله سبحانه وتعالى.

٥. إذا كان الفكر الغربي المعاصر يهتم بالتربية الجمالية للاستمتاع في هذه الحياة، فإن التصور الإسلامي يرى أن الاستمتاع بجمال الكون جزء أصيل مقصود لما له من آثار في النفس لا بدّ وأن يصل إلى غايته وهي الإحساس بالله خالق الكون وخالق الجمال، وبذلك يلتقي الفن بالعقيدة، كما تلتقي المتعة الحسية بالمتعة الروحية.

٦. لقد ثبت كل من الفلاسفة المسلمين والمعاصرين القيم الإنسانية العليا (الحق، والخير، والجمال) وجعلوها هدفاً أسمى في هذا الوجود يسعى الإنسان لبلوغها، وتحقيق مراميها، وبناء الحياة على أساسها.

٧. الجمال الإسلامي ابتعد عن محاكاة الواقع، خاصة محاكاة الأحياء متأثرين بالعقيدة وبطبيعة حياتهم الاجتماعية، وتمثل ذلك في تحوير الأشكال التي يدركونها، فاستخدموا الزخارف النباتية والكتابية والهندسية وبعضاً من الرسوم والزخارف المحورة عن الإنسان والحيوان، أما المدارس المعاصرة فقد اهتمت بالمحاكاة الكلاسيكية، وكذلك الحال بالنسبة للمادية والانطباعية في محاكاة الطبيعة من حيث الشكل واللون والظل والضوء، ولكن مع تحويل المعايير من مشابهة الواقع إلى معايير لها علاقة بالسمات المادية لعناصر العمل الفني بعيداً عن مشابهة الواقع.

٨. أكد كل من الفكرين الإسلامي والغربي أن كل جمال له قيمة، وليس المقصود بالقيمة المتبادلة ؛لأن ذلك الجزء من الجمالات الطبيعية الذي لا يقبل الانتقال والملكية

والحيازة الشخصية، خارج إطار التبادل مثل جمال السماء والكواكب والقمر والجبال والوديان والأشجار.

٩. أظهر كلا الفكرين مجموعة دوافع للجمال عند الإنسان هي: الدافع الديني، والنفسي، والاجتماعي، والتاريخي، والعلمي، والتربوي.

١٠. خاطب التصور الإسلامي الإنسان كمخلوق ذواق للجمال، ووعده بالجمال جزاء عالم الآخرة، فكان موقف الإسلام من الفن والجمال موقفاً إيجابياً.

١١. لقد أكدت الآيات القرآنية والقواعد الفكرية والفقهية الحث على الجمال واقتناء الأشياء الجمالية وتذوق معانيها.

١٢. جاء رأي الفلاسفة المسلمين ؛ كابن رشد والغزالي وابن سينا مؤكداً أن الفن يتضمن بطبيعته إحداث المتعة، ولكنها تختلف عن المتع البيولوجية، لأن المتعة الجمالية تخص الروح، ويمكن أن تستخدم ويجب لغايات نبيلة في التعليم وتقويم السلوك للوصول ببني البشر إلى الفضيلة والسعادة.

١٤. الفن للفن" الذي تقوم عليه آراء ونظريات كثير من المدارس الغربية المعاصرة، يتعارض مع التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان ؛ لأن ذلك المبدأ يقوم على توظيف "الفن" في امتصاص تفاؤل الإنسان، وإلغاء اعتماده على الله، وتعطيل إرادته، بينما الفن الإسلامي يقوم على الأصالة في التعبير، والوضوح في التعبير، وارتباط الموضوع التعبيري بالمجتمع، وعدم مضاهاة الخالق جل علاه، والاستفادة من الأعمال الفنية في الحياة البشرية، وعدم الخروج عن تعاليم الدين الحنيف.

١٥. التربية الجمالية في الإسلام تؤدي السمو بالدوافع، فهي بذلك تؤدي عملاً أخلاقياً، وهذا ما تؤكده التربية المعاصرة من خلال توجيه الطفل إلى جمال الطبيعة وتجعله صديقاً لها.

١٦. دشنت الثورة التكنولوجية الغربية منعطفاً جديداً أبان عن تحول جذري عام مس مختلف الأنشطة الإنسانية، وخاصة ما يخص بالجمال والفنون التي تميزت بطابع الذهنية في حظيرة تكنولوجيا المعلومات مفارقة بذلك سمتها الحسية. إنها نقلة تعد بديهية في مسار الفنون الغربية التي عرفت انغراساً عميقاً في حس ووجدان وفكر ملتها فضلاً عما واكبته من تحولات متواترة سريعة، وتطورات جمة.

١٧. أكدت بعض المدارس الفنية على معالجة القضايا الاجتماعية والنفسية والثقافية من خلال النتاج الفني الهادف، كما نرى في فن الكاريكاتير أو التعبير بالرسم أو غيره من الفنون. أما التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، يرفض كل فن لا يهدف إلى تحقيق غاية سامية، ويرفض كل فن لا يفهمه المتلقي أو لا يعمل على التفاعل مع

مجريات الأحداث والحياة البشرية في هذا الكون وإننا إذا أمعنا النظر في بعض المدارس الغربية، نرى أن أغلبها يقف على المتعة الجمالية الخالصة الحرة التي لا غاية لها سوى اللذة الفنية ذاتها.

بناءً على ما سبق ذكره، لم يتم الالتفاف المنشود إلى غنى وتنوع المساهمات الجمالية في التراث الإسلامي المكتوب، كما لم يحصل الانفتاح المتوخى على ما أنتجه الغرب في ميدان تلكم الثقافة بصورة جادة وهادفة. وهكذا ظل علم الجمال مغترباً في تعليمنا وثقافتنا على السواء إلى درجة أننا لا نجده ضمن برامجنا التعليمية الأدبية منها والفلسفية مادة رسمية، رغم أنه نشأ وترعرع في أحضان الأدب والفلسفة والأدهى من ذلك افتقار المعاهد للفنون الجميلة إلى أساتذة مختصين يدرسون به المادة المذكورة، ناهيك عن مدى التهميش والإهمال والحيف المزمن الذي طال ذلكم التراث الحري بالبحث والتدريس في جامعاتنا وغيرها من المؤسسات التعليمية.

أما الأساليب التربوية في تنمية القيم الجمالية فهناك أساليب كثيرة يمكن من خلالها تعليم الدارسين منها:

١. تنمية القيم الجمالية بأسلوب العبادات: إن إقامة العبادات في حياة الطالب تؤدي دوراً مهماً في غرس القيم الجمالية في نفوس الطلاب ولها أثر بالغ على شخصيتهم ومن خلالها تتم المودة والمحبة والتعاطف والتكافل والتعاون وتزكو النفوس وتتطهر فيحدث الخير والعدل الاجتماعي والسلم الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

٢. تنمية القيم الجمالية بأسلوب القدوة: القدوة الصالحة ضرورة لغرس المبادئ والقيم الجمالية في النفس فإن القدوة السيئة عامل هدم القيم والمبادئ الجمالية التي تهدف إلى تربية مجتمع رشيد متوازن وتبدأ القدوة من الوالدين، ثم يأتي دور المؤسسة التعليمية فالمعلم والمدير قدوة حسنة بطبيعة وظيفته أباً ومربياً ومعلماً وموجهاً ومرشداً وناصحاً أميناً لطلابه يمكنه تنمية قيم التربية الجمالية.

٣. تنمية القيم الجمالية بأسلوب القصة: إن استخدام القصة تعد من أنواع التربية والتوجيه حيث تشمل التعبير الفني والتنغيم الموسيقي ورسم الملامح الجميلة والتصوير المبدع وترسيخ القيم وذلك عن طريق استثارة ومشاركة الإنسان العاطفية وتعد القصة من أكثر أساليب تنمية القيم وتهذيب الإحساس وترفيه الوجدان والارتقاء بالإنسان ونعطي المتعلم صوراً رائعة من الإبداع والدراما.

٤. تنمية القيم الجمالية بأسلوب التوجيه والإرشاد: يعد أسلوب التوجيه والإرشاد من أهم أساليب تنمية القيم الجمالية لما لها أثر حسن في النفوس لأنه يتطرق إلى النفس البشرية.

٥. تنمية القيم الجمالية بأسلوب الثواب والعقاب: يمكن تنمية القيم الجمالية بأسلوب الثواب والعقاب لأن الطلاب منهم يرضيه المكافآت ومنهم من يزجره بالعقاب فهذا الأسلوب يؤثر في نفوسهم كثيراً وذلك من خلال ترغيبهم بالسلوك الحسن والتعامل الجمالي الإيجابي لتتحقق لهم السعادة.

٦. تنمية القيم الجمالية في المناهج الدراسية: إن المنهج الحديث ليس مجموع القرارات لغرس الثقافة الجمالية لدى الطلاب إنما هو مجموعة من الخبرات والنشاطات والمفاهيم والمعارف ينسجم مع مبادئ التربية الجمالية لا بد أن تحتوي المناهج الدراسية للمؤسسات التعليمية جزءاً كبيراً من قيم الفن والجمال والإبداع والمتعة والتذوق الجمالي وذلك نظراً لأهميتها في النمو المتكامل للشخصية وجانبها المتعددة.

٧. إن تنشئة الفرد على التذوق والجمال ضرورة عصرية تسعى الأمم المتقدمة لتثقيف أبنائها عليها من أجل الأخذ بأسباب الحضارة باستغلال أوقات فراغ الطلاب في قراءة الكتب غير المنهجية والقصص والمشاركة بزيارة المتاحف وإقامة المعارض الفنية من أجل ترسيخ مبدأ التربية الجمالية.

٨. وبناء على ذلك فإن الأنشطة الضرورية ترسخ القيم الجمالية وتتحول إلى سلوكيات يومية يمارسها الطالب في حياته العادية والتي تؤثر في شخصية الطالب وتساعد في تنمية قدراته الكامنة وتؤثر على أحاسيس الناشئة وأخلاقهم وفكرهم وتنشط دوافعهم وحيويتهم تجاه أنفسهم وأوطانهم.

٩. إن جميع الأنشطة اللاصفية الأخرى يمكن أن تبلغ شأناً كبيراً في التقدم التربوي والوصول إلى نتائج إيجابية تهدف إلى تكوين الشخصية بشكل متكامل والأنشطة ضمن الجماعات التي تشكلها المدرسة للعمل التطوعي والفن والجمال.

١٠. تنمية القيم الجمالية في التعامل مع الزملاء: فالتسامح والصبر والصفح والتخلق بالخلق الحسن والمودة وجمال القول قيم وعادات وأعراف ومثل جميلة دعت إليه التربية الجمالية.

المقترحات والتوصيات:

بناء على مناقشة النتائج يمكن ذكر بعض من التوصيات منها:

١. **ينبغي أن يهتم أعلام النهضة العربية الإسلامية بالثقافة الذوقية الفنية والجمالية بصفة عامة، وعلم الجمال على وجه التخصيص.**

٢. **تكريس الومضات والأفكار والآراء والانطباعات الفنية والجمالية الإسلامية للرقيّ بمشروع تحديثي تأصيلي يذود عن أهمية الثقافة الذوقية في مجال التربية والتعليم والتكوين والتثقيف.**

٣. **على المكتبة العربية أن تؤرخ لترثنا الجمالي الإسلامي سواء في صيغته التعبيرية أم التشكيلية.**

٤. **على المؤسسات التربوية المساهمة في تفعيل التربية الجمالية كونها حاجة اجتماعية وضرورة حياتية.**

٥. **العمل على تدريب الطفل على متطلبات التربية الجمالية، وحثه على حسن ترتيب أدواته المدرسية والعناية بمظهره، ومشاهدته آثار الجمال في البيت، والبيئة الطبيعية.**

٦. **الاهتمام بالتخطيط الإعلامي للارتقاء بالتذوق الفني والتربوي الموجه للطفل.**

٧. **ينبغي أن نربي الطفل والناشئ على أن الجمال يتجسد في الكلمة الطيبة، وفي حسن المنطق، وحسن المعاشرة، وفي فعل الخير واحترام الحق، كما يتجسد في الموضوعات الحسية: في الشكل الإنساني، وفي اللباس والعطر، وحقول الأزهار، وبناء البيت، وهندسة المدن؛ لينشأ على القيم، ويوظف الجمال في تهذيب السلوك وسمو الذوق.**

المراجـــــــع:

١. القرآن الكريم

٢. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبـــي بكـــر (١٩٩٤) زاد الميعـــاد، تحقيـــق: شـــعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣. أبو شعيرة، خالد، (٢٠٠٧) الأثر الثقافي للنظام التعليمي القرطبـــي علـــى العـــالم الإسلامي وأوروبا، دار المجتمع العربي، عمان.

٤. ريان، آيات ((2001م (التربية الجمالية للطفل، مجلة الطفولة والتنمية.

٥. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (د. ت) صـــحيح البخـــاري، دار الكتـــب العلمية، بيروت.

٦. الترمذي، محمد بن عيسى، (د. ت) الجامع الصحيح: سنن الترمذي، تحقيق: كمـــال الحوت وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧. جمعة، جاسم عبد القادر(٢٠٠٣) التذوق الجمالي والنقد الفني كمحتـــوى معرفـــي لتنمية السلوك الجمالي في مجال التربية الفنية، مجلة مستقبل التربية الفنية، المجلد التاسع، العدد التاسع والعشرون، مكتب الجامعي الحديث.

٨. الحبيب، مصدق (٢٠٠٦) حول جدلية المعيار الجمالي في الفن والأدب من منظـــور فلسفي، المجلة العربية، العدد الثالث، السنة الرابعة، الرياض.

٩. خليل، عماد الدين، (2005) معالم الجمال في كتاب الله، مجلة الـــوعي الإســـلامي، العدد(٢٢٧) الكويت.

١٠. الخوالدة، محمود، والترتوري، محمد (٢٠٠٦) التربية الجمالية، دار الـــشروق، عمان، الأردن.

١١. دخل الله، أيوب (2007) التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي، المكتبة العصرية، بيروت

١٢. رمال، عزيزة (2001) القيم البيئية في الإسلام ودور التربيـــة الإســـلامية فـــي تنميتها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

١٣. الريسوني، أحمد، وحمادة، فاروق، والقدومي، أحمد (١٩٩٩) دراســـات بيئيـــة: تحليل لبعض المشكلات من وجهة نظر إسلامية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، إيسيسكو، المغرب.

١٤. زكارنة، هديل بسام (2002) المدخل إلى علم الحمال، د. ن، عمان.

١٥. سليم، محمد الأصمعي(٢٠١٠) مصادر التربية الجمالية ومجالاتها وأساليبها، مجلة كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

١٦. سيد، أحمد عزات (١٩٩٨) القيم الجمالية عند الجاحظ، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق.

١٧. شالر، لالو (١٩٩٢) مبادئ علم الجمال، ترجمة، خليل شطا، دار دمشق، دمشق

١٨. الشربيني، محمد(٢٠٠٣)، نوعية الرسوم المقدمة في مجلة علاء الدين والقيم الجمالية التي تعكسها، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.

١٩. شمس الدين، عبد الأمير (٢٠٠٤)، المذهب التربوي عند ابن سينا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت.

٢٠. صالح، عبد الرحمن (١٩٩٩) المرشد في كتابة البحوث التربوية، دار المنارة، مكة المكرمة.

٢١. عاشور، راتب، والزعبي، محمد (٢٠٠٩) استراتيجيات التفكير الإبداعي، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٢٢. العزب، محمد أحمد (٢٠٠٠) الجمال من المنظور الإسلامي، عدد(٢١٢)، الكويت.

٢٣. غباري، ثائر، وأبو شعيرة، خالد(٢٠٠٩) مناهج البحث وتطبيقاته التربوية، دار المجتمع العربي، عمان.

٢٤. الغزالي، أبو حامد، (١٩٩٨) إحياء علوم الدين، تحقيق عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت.

٢٥. القاضي، علي، (١٩٩٨) التربية الجمالية في الإسلام، مجلة الوعي، العدد(١٤٠) الكويت.

٢٦. قطب، محمد (١٩٨٤) منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة.

٢٧. قماش، علي آل قماش(٢٠٠٣) التربية الجمالية والتذوق الفني من منظور إسلامي، تقرير منتدى التربية الجمالية والتربية الفنية، الإنترنت.

٢٨. كليب، سعد الدين (١٩٩٨) القيم الجمالية في الشعر العربي الحديث (١٩٥٠_ ١٩٧٥)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلب، سوريا.

٢٩. مجاهد، عبد المنعم (٢٠١١) دراسات في علم الجمال، مكتبة الأنجلو المصرية، الإسكندرية.

٣٠. مسلم، بن الحجاج القشيري (١٩٩١) صحيح مسلم، دار الحديث، القاهرة.

٣١. مطر، أميرة حلمي (١٩٩٥) مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، دار غريب، القاهرة.

محمد أحمد الراشد، آفاق الجمال، دار المحراب بسويسرا، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

32.Bender,John(2000) General but Defeasible Reasons Aesthetic Evaluation ; The Generalist , Particularist Disputei journal of Aesthetics and Art Criticism

33. Fuch , R,(2005) Art and philosophy ,Readiugs in Aesthetics Sec, ed, NewYork .

34.Graham, Grodon,(1997) philosophy of the Arts; an introduction to aesthetics, znd, ed, Routledge ,London .

35.Ross,S,(2001) Art and its significance,An Anthologe of Aesthitic theory, NY,; stat university. of Newyork press .

36. Roger,F(2000) Art and Imagination London ,Methuen .

37. Zang will,N,(1995) the Beautiful , The Dairte and the dumpy ,British Journal of Aesthetikes, reprinted sligily modified in the Metaphysics of Beauty, Ithaca , Cornel University press.